الفصل الثاني

التكافؤ والإدّام

تتنوع أسس اختيار فتى الأحلام، وتختلف باختلاف المجتمعات والثقافات.

وحريٌّ بنا أن نذكر بعض النظريات المفسرة للاختيار الزواجي بشكل عام.

1 - نظرية التشابه:

هي أن يتم الاختيار على أساس التشابه في الصفات، فمثلًا خريج كلية القمة يتزوج بخريج كلية قمة، أو إنسان محافظ يتزوج من فتاة محافظة.

2 - نظرية القرب المكاني:

فيتزوج الشاب أو الفتاة ممن يقربها في السكن (ابن الجيران) أو زميلها في العمل، على اعتبار أن هذا شرط التوافق.

3 - نظرية الجاذبية الجسدية:

أكثر من 80 ٪ من الزيجات تتم بناءً على الإعجاب بالشكل الخارجي، كما جاء في إحدى الإحصائيات.

obeikandl.com

4 - نظرية التحليل النفسي:

فالفتاة ترتبط بالشاب الذي يشبه أباها أو أخاها؛ لشعورها معه بالأمان.

5 - نظرية التكامل:

وهي أن يتم الاختيار على أساس وجود صفات في شريك الحياة تكمل ما عند الآخر من نقص، فالفتاة العصبية تود الزواج من البارد، والقيادي يود الزواج من المنقادة.

6 - النظرية الحيوانية:

هكذا أطلق عليها؛ لأنها تعتمد في الأساس على السلوك الغريزي البهيمي، وفقط.

فقام بعض العلماء الهولنديين بوضع نظرية تفسر الطريقة المثلى لاختيار شريك الحياة: وهي طريقة بعض القرود وخاصة الغوريلا والشمبانزي، وهي تعتمد على رائحة الذكور التي تجذب الأنثى نحوه، ومن الممكن للإنسان أن يستعيض عن ذلك بالعطر، فالعطر الذي يجذب المرأة، فهذا يشير إلى توافق جهاز مناعتها مع جهاز المناعة لدى الرجل عبر اشتمام الرائحة الطبيعية للرجل عبر عطره. ويضمن ذلك على حدِّ قولهم طفلًا ذا مناعة قوية محصنًا من الأمراض.

obeikandl.com

7 - النظرية الدجلية أو جلب الحبيب:

تعتمد هذه النظرية على أساس من يستطيعون معرفة توأمك الروحي عن طريق إيصالك لمرحلة التطهر الروحي. عندها يتم رفع ذبذبات الإنسان لدرجة تصل لذروتها، وهم يكتشفوا لك من اتفقت ذبذباته مع ذبذباتك. وهكذا يكون توأمك الروحي. وأي زيجات تتم بخلاف ذلك، فمصيرها إلى الطلاق والفشل الذريع.

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ * قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء 85)

فالأرواح – بصفة عامة – من علم الله الغيبي الذي اختص بمعرفته وحده له، فلا أساس لتلك الأقاويل.

8 - نظرية التكافؤ والإدام:

الإدام: هو الرضا، والاقتناع بالشخص.

قال رسول الله – ﷺ – للمغيرة، وقد خطب امرأة: (انظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما).

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال:كنت عند النبي – ﷺ – فأتاه رجل، فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، فقال له رسول الله – ﷺ – : (أنظرت إليها؟ قال: لا، قال: فاذهب فانظر إليها؛ فإن في أعين الأنصار شيئًا).

obeikandl.com

قيل المراد بشيءٍأي صِغَر.

وكان ذلك علي سبيل النصيحة من النبي للرجل، بالتمعن في صفات المخطوبة حتى لا ينخدع بشيء أو يتجاهله، ويسبب له النفور مستقبلًا.

فالنظر بلا شك يدعم الحب والقبول والألفة.

ويتم ذلك بالرؤية الشرعية للخاطب العديد من المرات، فمرة واحدة لا تكفي لمعرفة شكله وجوانب شخصيته الأساسية، وأعني بالرؤية الشرعية أي في حضور أهل الفتاة.

فالرؤية من الأهمية بمكان، أيضًا لا يصح قبول الشخص لمجرد رغبة الفتاة في الفرح أو تقمص لدور العروس وحسب، أو شفقة منها على خاطب به إعاقة أو عرج أو شيء قد تأنف منه نفسها لإحساسها بضرورة التضحية، وقد لا يكون الأمر إعاقة بل أحيانًا دمامة وجهه، وعدم سواء جسده، أو عدم استقامة بعض أعضائه، وغيرها من العيوب التي تأنف منها وتستحي الرفض وتوكلها للتعود مستقبلًا. وأحيانًا وبعد مُضي سنوات من الزواج، تجد نفسها لا تتحمل هذا العيب، بل قد يكون من منغصات حياتها، وتفكر حينها لماذا قبلت به؟ أو ليتني لم أقبل. فالزواج لا يجب أن يكون بدافع الشفقة. ولو نظرتِ إلى أحوال الرجال ستجدينهم أكثر صراحة ووضوحًا في مثل هذا الأمر. فقلما تجدين رجلًا يتزوج معاقة أو دميمة بدافع الشفقة أو من أجل إعفافها والشفقة عليها.

obeikandl.com

فإذا رأيتِ عيبًا أحسك بالجزع منه، فعليكِ التأني حتى تتيقني من حقيقة مشاعرك؛ فهذا رفيق العمر. فإذا تأثرتِ بذكر من حولك له، ووصفه بتلك العيوب، وأحسستِ بأنهم محقّين، وأنه غير كفءٍ لك، أو أنكِ تستحقين الأفضل؛ فلا تتعجلي الموافقة، بل عليكِ الاستخارة عدة مرات، فإمّا يزول ما بصدرك، وإلا فالرفض بشجاعة أهون من التضحية الغير جادة، أو الشفقة المرحلية مستقبلًا.

فطلب الجمال من حقك أنتِ أيضًا، كما هو من حق الرجل. مع لفت النظر إلى أن الجمال نسبي يتفاوت تقديره من شخص لآخر.

والجمال أنواع: هناك جمال شكل، وحديث، وهدوء. فلا تهتمي لكلام الناس، وانحازي لقناعتك الشخصية، فلكلٍّ منّا ذوقه وطريقته.

(لولا اختلاف الأذواق لبارت السلع)

أيضًا، إذا شعرتِ بانقباض صدر شديد، أو انشراح صدر شديد للخاطب؛ فضعي هذا في حسبانك، فقد تكون إحدى دلالات قبولك أو نفورك منه.

الكفاءة تعني المساواة والمماثلة، أي مساواة الرجل للمرأة التي يريد زواجها في الحرية والدين والحسب والحرفة.

obeikandl.com

قال رسول الله – ﷺ – لعليّ – رضي الله عنه – :(ثلاث لا تؤخرها: الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت، والأيم إذا وجدت لها كفؤًا)

وبعض الفقهاء أسند للكفاءة شروطًا كثيرة كما تقدم، والبعض أسندها للدين فقط، إلا أنني أحببت أن أطرح أهم نقاط الكفاءة الدارجة لدى الناس عند اختيارهم لشخص كزوج لابنتهم:

1 - التكافؤ في العقل والذكاء:

لا شك أن الرجل يخشى الدخول في علاقة مع امرأة تفوقه ذكاءً، وليست الشهادات والدرجات العلمية – فقط – مقياسًا للذكاء، ولكن في جميع نواحي الحياة.

فمثلًا: قد تكون المرأة ذات فطنة وبصيرة، والرجل معروف بسذاجة عقله وسطحية تفكيره، فيكون نتيجة هذا الارتباط صراعاتٍ دائمةً بينهما، إما انقياد تام لها وتسليمها أعباء الأمور، وهذا بلا شك يلقي عليها أعباء نفسية عديدة، وإما شعوره الدائم بالنقص أمامها وانتقاصه من قدرها كحيلة نفسية للتخلص من تألمه النفسي بهذا الفارق الملحوظ.

وبصفة عامة، فمعظم الرجال لا يقدمون على الزواج مِمّن تفوقهم ذكاءً ونبوغًا، وإن أبدوا إعجابهم بها.

obeikandi.com

فالنضج العقلي والذكاء مطلوب، ومطلوب فيه التجارب، فكم من مشكلة زوجية أساسها سذاجة أو غباء أو عدم نضج أحدهما.

فالذكاء يضفي نوعًا من الجاذبية الشخصية، أما الغباء وقله العقل فهو سبيل لكره الشخصية.

أيضًا، لابد من الالتفات لاعتبارات أخرى مثل الانفعالات، والقدرة على التحكم فيها من الأمور التي تميز شخصية عن أخرى. فإذا كان شخص يغلب على طبعه التهور والثورة لأتفه الأسباب، كثيرًا ما يقوده ذلك للأخطاء المستمرة. فهذا لا يصلح للارتباط إلا بإنسانة هادئة يغلب على طبعها البرود «أو كما يقولون ذات مزاج بارد»، فهي أقدر على تحمله،أما إذا ارتبط بفتاة نشيطة أو عصبية نوعًا ما؛ فمن الأرجح حدوث الكثير والكثير من المشكلات؛ لوجود هذا الفارق.

فإذا تزوج شاب يميل للحركة والسهر والسفر بفتاة هادئة هوايتها المفضلة المكوث في المنزل؛ فأيضًا يؤدي هذا النوع من الزيجات إلى التوتر والخلافات.

الاتزان الانفعالي والميول العقلية والنضج العقلي والذكاء.. عناصرٌ هامة في تقييم الشخصية، وتحديد مدى الانسجام معها.

obeikandl.com

2 - التكافؤ الثقافي:

الثقافة لا تعني المفهوم الشائع لدينا من الاطلاع على الكتب فحسب، بل هي أشمل من ذلك فهي تشمل العادات والتقاليد ومستوى المعيشة للفرد، بغض النظر عن مستواه التعليمي، وطريقة حياته ومنشئه، والمظاهر السلوكية، وشتى العوامل المؤثرة على فكرِه وشخصيته مكونة لثقافته وتفكيره. فقد يتمتع رجل متوسط التعليم بثقافة وسِعَة أُفق أكثر من مثيله ممن حصل على تعليم عالٍ.

فثقافة طبيب نشأ في منطقة ريفية، تختلف جذريًّا عن طبيب نشأ في الحضر، فيسهل على فتاة عاشت في القرى العيش في الحضر، ولكن العكس صعب.

مثال آخر لاختلاف الثقافات: ارتباط فتاة طموحة متعلمة بإنسان اتكاليٍّ عديم الهمة، قد ينتهي بالفشل.

وهنا ظهر التباين لاختلاف الممارسات التربوية في نشأة كليهما.

فمن الأفضل وجود تقارب في الثقافات لضمان مزيدٍ من التفاهم والانسجام لاحقًا.

3 - التكافؤ السياسي:

هذه من الأمور التي قد لا تصنع فارقًا إلا أنها أحدثت أزمات شديدة وانقسامات عديدة في بلادنا العربية، لما واجهته من ثورات وتقلبات سياسية عديدة. نتج عنها ظهور التعصب للآراء والأفكار للحدّ

obeikandl.com

الذي يصل للكراهية، وسمعنا – مؤخرًا – عن حالات طلاق لاختلاف الزوجين في اتجاهاتهم السياسية ما بين مؤيد لحكم ومعارض لآخر.

فإن بدا وجود اختلافات فكرية وأيديولوجيات مختلفة يبقى هنا التأكد من وجود دوائر مشتركة بينكما، والأهم من ذلك احترام كلٍّ منكما للآخر، وتقدير طريقة تفكيره وأيديولوجيته، وعدم التعصب ومحاولة السيطرة على تفكير الآخر. ويمكن الاتفاق على مثل هذه الأمور أثناء فترة الخطبة.

4 - التكافؤ في الدين والأخلاق:

التقارب يسهل الكثير من الأمور، فالقيم الدينية أو مستواها وتقديرها يختلف من فرد لآخر.

فمثلًا: قد لا تنسجم فتاة حديثة العهد بالالتزام مع داعية إسلامي ملتزم أبًا عن جد. فهنا قد تشعر بنوع من الضغط النفسي لعدم استطاعتها مجاراته في كيفية وكمية أداء العبادات والسنن، فمثلًا قد يطالبها بضرورة قيام الليل؛ لأنه أساسي عنده، وهي لن تستطيع تحمل ذلك في البداية، فينشب صراع أساسه عدم التكافؤ.

والعكس أيضًا قد يحدث، بأن تكون هي شديدة الالتزام وهو في بداية التزامه، فيشعر أنها تريد أن تقوده بكثرة توجيهاتها له؛ لأداء

obeikandl.com

الصلوات والصيام وغير ذلك، وينتهي الأمر إلى طريق مسدود يشوبه عدم التفاهم والتكافؤ.

وهنا يمكن لفت النظر أننا في زمان من الصعب وجود مثاليات به، فيكفي أن يكون الفتى أو الفتاة لديه الحد الأدنى من الالتزام. ويتحقق ذلك بمعرفة وتطبيق أركان الدين والاجتهاد في السنن والنوافل قدر المستطاع، مع وجود أخلاقيات ومبادئ يشهد له بها الجميع. ثم بعد ذلك الإيمان يزيد وينقص كما هو معلوم، ولنطلب من الله جميعًا الهداية، وإرشادَنا للصراط المستقيم.

5 - التكافؤ في المظهر الخارجي:

شريك الحياة لا بد أن يكون مصدرًا لتلبية جميع الاحتياجات العاطفية والنفسية والجنسية أيضًا.

فللمرأة هو مصدر القوة والهيبة والأمان من غدر الزمان،وهو مصدر لفخرها أمام قريناتها وذويها.

فلا بد من تحقق هذه الصورة من خلال التناسق العام في الشكل الخارجي.

فمثلًا، لا ترتبط امرأة قوية البنية بشخص هزيل البنية، أو امرأة جميلة جدًّا برجل دميم، أو امرأة رفيعة جدًّا برجل مفرط السمنة، أو امرأة طويلة جدًّا برجل قصير جدًّا.

obeikandl.com

فالمظهر الخارجي للرجل لابد وأن يبدو أمام الجميع، وفي نظرتها هي في المقام الأول؛ الرجل المناسب.

كما أن المظهر الخارجي للرجل يعكس الكثير عن صحته العامة والجنسية وقدرته الإنجابية.

6 - التكافؤ الاجتماعي:

في الأساس، أعني النسب أو مستوى وطريقة المعيشة. ويتضح ذلك بوضوح في قصة زواج السيدة زينب بنت جحش من زيد، ثم زواجها بعد ذلك من الرسول - ﷺ.

كان زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله - ﷺ - . وكانت زينب بنت عمة النبي - ﷺ - أُميمة بنت عبدالمطلب، فبعث النبي - ﷺ - في خطبتها لمولاه زيد، فلما علمت أنه زيد وليس رسول الله - ﷺ - هو المتقدم لخطبتها؛ رفضت وتمنعت؛ فهي سليلة الحسب والنسب، وزيد مولى عند رسول الله - ﷺ، قد تبناه قبل أن يحرّم الله التبني، فنزلت الآية الكريمة: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ * وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا**﴾ (الأحزاب 36)

أي لا ينبغي لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون لهم حق الاختيار فيما حكم الله ورسوله فيه بالجواز أو المنع، وإلا فقد أخطأ الطريق.

obeikandl.com

فما كان من زينب بعد أن علمت بالآية، إلا أن وافقت على زواجها من زيد. وبحكم الطباع البشرية، فإن زينب لم تخفِ شرفها على زيد، وأصبحت تترفع عليه، الأمر الذي شعر معه زيد بعدم الفائدة من هذا الزواج، فأخذ يستشير النبي - ﷺ - في طلاقها، فقال له رسول الله - ﷺ - : (اتق الله يا زيد، لا تطلق بغير ضرورة ولا حاجة إلى الطلاق، واصبر على ما تجده من امرأتك).

ولم يكن يعلم أنه سيتزوجها؛ لإنهاء حكم التبني، واعتباره كالولد الصلب.

حتى نزل أمر الله لزيد بطلاقها، وتزوج النبي - ﷺ - منها. وبهذا إبطال لِمَا كان منتشرًا من عاده التبني، ومن منع الزواج من مطلقة الابن المُتَبنى.

قال تعالي ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ * فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا * وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا﴾ (الأحزاب 37)

فعدم التكافؤ في النسب وعدم توازي المستوى الاجتماعي كان سببًا في طلاق زيد بن حارثة من السيدة زينب بنت حجش - رضي الله عنهم أجمعين.

أيضًا قصة بريرة مولاة السيدة عائشة التي كانت تخدمها كثيرًا، وكانت متزوجة من عبد أسود يدعَى مُغيث، وعندما أعتقتها السيدة عائشة طُلقت من مُغيث، فهي أصبحت حرة وهو عبدٌ. وروى ابن عباس أن زوج بريرة كان ينظر إليها ويطوف خلفها يبكي، ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي – ﷺ – لعباس بن عبدالمطلب: (يا عباس، ألا تعجب من حُبّ مُغيث لبريرة، ومن بُغض بريرة مُغيثًا!) فقال النبي – ﷺ – لها: (لو راجعته). قالت: يا رسول الله،أتأمرني؟

قال: (إنما أنا أشفع). قالت: لا حاجة لي فيه.

إذًا، فاعتبارات النسب والمستويالاجتماعي والاقتصادي مهمة، ولاسيما في عصرٍ طغت فيه المادة على الحسابات الإنسانية.

لاسيما، وأن أهل الزوج أو الزوجة سيصبحون أعمامًا وعماتٍ وخالاتٍ وأخوال أبنائكم مستقبلًا، فمن الصعب الارتباط بإنسان كان جدُّه مجرمًا أو فاسقًا.

قالوا قديمًا: اسأل عن الأهل قبل الفصل "أي قبل المهر"
وقالوا- أيضًا-: العرق دسّاس.

obeikandi.com